

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت سعدي حسين علي العزاوي

كلية العلوم الإسلامية

دعوة القرآن إلى الرفق في التعامل مع المخالف

الأستاذ المساعد الدكتور

سعدى حسين علي العزاوي

أستاذ مساعد التفسير

كلية العلوم الاسلامية / جامعة تكريت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فإن القرآن الكريم قد اهتم بالنظام الاخلاقي وجعل له مكانة بين النظم التي دعا اليها ، بحيث لم يبق للامة شيئاً تحتاجه الا وذكره تعليماً لنا ، وتفهيماً لأجيالنا القادمة .

ومن هذه النظم الاخلاقية التي حث عليها القرآن وأولها اهمية كبيرة في التعامل بين الناس هي قضية الحوار الهادئ البناء ، والدعوة السمحة المقرونة بالحكمة والموعظة الحسنة الى دين الله واعتناقه ، ليكون منهج حياة وثواب في الآخرة .

وهذه الدعوة قائمة على المحبة والتسامح ، وعدم اكراه الآخرين على اعتناق الدين الاسلامي ، قال تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة : ٢٥٦ بعد أن وضع معالمه ، وبان الرشد من الغي .

وكذلك تبين الاسلام اسلوبا محببا في الدعوة الى الله قائما على الحكمة والموعظة ، والحجة البالغة في اقناع الآخرين بصحة اتباع سبيل الهدى قال تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥ .

فالحوار بالحجة القوية المقنعة والاسلوب الرفيق من غير عنف تتذلل كثير من الصعوبات وأسباب الشحنة والتباغض ، وتضمحل عوامل الشقاق والنزاع والإحتراب ، ولاسيما إن كان الحوار مبنيا على أسس التعارف والتسامح ، بعيدا عن كل أنواع التمييز القومي والثقافي والطائفي .

ومن البديهي أن يفترض الحوار الاعتراف بالآخر ، والقبول المتبادل لطرفي الحوار ، وقبول أحدهما الآخر على أنه شريك مكافئ ، وذلك للتخلص من كل أسباب العداة والتمزق الذي ينهك الامة ويقضي عليها .

ومن هذا المنطلق واسهاما مني في تنمية الشعور بالأخوة الاسلامية القائمة على الدعوة الحكيمة الهادئة ، والحوار البناء المتسم بالعقلانية والحكمة ، وعدم اشاعة روح العداة واقصاء المخالف اخترت الكتابة في موضوع : ( دعوة القرآن الى الرفق في التعامل مع المخالف ) ليكون عنوانا للبحث .

وقد اقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة واربعة مباحث :

كان المبحث الاول للتعريف بمفردات عنوان البحث لغة واصطلاحا .

وتكلمت في المبحث الثاني على عدم الاكراه في الدين ، مبينا معنى الاكراه لغة واصطلاحا ، وموضحا أن الله لم يجز الايمان على الاجبار والقسر ، وانما على التمكين والاختيار بعد أن بين دلائل التوحيد بيانا شافيا بحيث لم يدع للكافر مجالا للعدر في اقامته على الكفر ، وأن الله سيحاسبه على كفره يوم القيامة ، وليس لأحد محاسبته في الدنيا .

وإذا كان الكافر لا سبيل لاحد أن يكرهه على اعتناق دين الاسلام فمن الأولى أن لا يكره المسلم على اعتناق طائفة معينة دون اخرى من طوائف المسلمين .

وتناولت في المبحث الثالث : الكلمة السواء وعدم سب الذين يدعون من دون الله ذاكرا أن كلمة السَّوَاء هي العدل التي دعا اليها النبي محمد ﷺ أهل الكتاب من اليهود والنصارى في أن يوحدوا الله ولا يعبدوا غيره طالما أنهم يدعون عبادتهم لرب السموات والأرض .

وعدم سبِّ آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسبِّ إله المؤمنين ( لا إله الا هو ) .

أما المبحث الرابع : فخصصته للحديث على القول اللين في دعوة الطُّغاة مستعرضا المنهج الرباني وأمره لعباده في تبني القول اللين اللطيف السهل الرقيق الذي ليس فيه ما يُغضب ويُثُفِّر لدعوة الطُّغاة والمتجبرين ليكون أوقع في نفوسهم ، وأبلغ وأنجع ، لعلهم يرجعوا عن المخذور .

فإنَّ القول الخشن بادئ ذي بدء يكون من أعظم أسباب النفور والتصلب في الكفر والثبات على الباطل ، ومعاداة المخالف وإن كان على حق .

وفي الخاتمة : ذكرت أهم ما توصلت إليه من نتائج .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

### المبحث الأول : تعريف مفردات عنوان البحث

قبل أن أتكلّم عن موضوع البحث أرى من الواجب عليّ أن أذكر تعريفات أولية في اللغة والاصطلاح لألفاظه ليكتمل التصور له والفائدة المرجوة منه ، ولتعلق موضوعات البحث بهذه التعريفات .

**الدعوة لغة :** دعا الرجل دعوا ، ودعاه ناداه ، والاسم الدعوة ، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته ، ومنه دعوت فلانا ناديته<sup>(١)</sup> .

**الدعوة اصطلاحا :** هي ما يقوم به الدعاة من مناداة الناس إلى بيعة هدى ، أو ضلالة ، ويقال لواحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، والنبي  $\rho$  داعي الله تعالى : ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٦ ، وسمي المؤذن داعي الله ، والنبي  $\rho$  داعي الأمة إلى توحيد الله  $\Psi$  وطاعته<sup>(٢)</sup> .

(١) ينظر: لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفيريقي المصري ، دار النشر: دار صادر - بيروت، ط ١ : ٢٥٨/١٤ مادة (دعا) .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٩ / ١٤

وأفضل الدعوة هي أن تدعو الى الله وطاعته عن ( طريق اللّين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه ) (١).

وبذلك يكون الداعي بدعوته على سنن المنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في معتقداته ، وفي التزامه لأحكام شرعه ، وذلك هو مقتضى القرآن والإسلام وهو حال رسول الله ﷺ (٢) . فعلى الداعية أن يتحلّى بالخلق الحسن مستعملا الحكمة في دعوته ؛ لأن هذا أدعى لقبول دعوته كما أمر الله ﷻ موسى وهارون -عليهما السلام- أن يستعملا ذلك في مواجهة فرعون بقوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ طه : ٤٤ .

**القرآن لغة :** ( لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ القيامة : ١٧ - ١٨ ، ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللحياني (٣) وجماعة (٤) .

**القرآن اصطلاحا :** الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته (٥) .

---

(١) أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي . تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر . - بيروت . - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ١ / ٤٦٤ .

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت : ١ / ٢٥ .

(٣) علي بن المبارك - وقيل ابن حازم - أبو الحسن اللحياني من بني لحيان بن هذيل بن مدركة وقيل سمي به لعظم لحيته أخذ عن الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وأبي عبيدة وعمدته علي الكسائي وأخذ عنه القاسم بن سلام وله النوادر المشهورة . ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا : ٢ / ١٨٥ .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر - القاهرة ، ١ : ١٣ .

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن : ١ / ٣٥ .

الرفق لغة: (ضد العنف) <sup>(١)</sup> و (لين الجانب وهو خلاف العنف يقال منه رفق يرفق ويرفق) <sup>(٢)</sup>.

الرفق اصطلاحاً : لا يختلف المعنى الاصطلاحي للرفق عن معناه اللغوي إذ هو لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رقيق <sup>(٣)</sup> وفي الحديث ( إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ ) <sup>(٤)</sup>

المخالف لغة : المِخَالِفُ الضِدُّ <sup>(٥)</sup> ، والخِلافُ المضادة وقد خالفه مخالفة وخالفاً <sup>(٦)</sup> ، والمخالف هو المعاند <sup>(٧)</sup> ، ورجل خالفه ، أي كثر الخلاف معه <sup>(٨)</sup>.

المخالف اصطلاحاً : هو من غايرك في دينه أو فكره أو رأيه <sup>(٩)</sup> .

والخلاف : ( منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ ، أو لإبطال باطل ) <sup>(١)</sup>.

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، المكتبة العتيقة ودار التراث : ٢٩٦/١ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م : ٢/ ٢٤٦ .

(٣) ينظر: لسان العرب : ١٠ / ١١٨

(٤) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت : ٤ / ٢٠٠٤ ، برقم ٢٥٩٤ ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها .

(٥) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية : ٨ / ٣١٠ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٨ / ٣١٠

(٧) ينظر : الصحاح، تاج اللغة العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت ٣٩٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٩٠ : ٣ / ٧٥ .

(٨) ينظر : العباب الزاخر - للصاغاني ، ٤٠٥/١ ، من الموقع الإلكتروني على شبكة المعلومات .www.Awarrag.com

(٩) ينظر غريب الحديث للخطابي :- حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ألبستي أبو سليمان ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزناوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ : ٢ / ٢٢٩ ، وتعريفات ومصطلحات فقهية في لغة معاصرة ، د عبد العزيز عزت عبد الجليل حسن : ١ / ٥٣ .

## المبحث الثاني : عدم الإكراه في الدين

الإكراه لغة : من (كره) بالفتح وهو ما حمل الإنسان نفسه عليه (١) .

وفي لسان العرب : ( هو ما اكْرَهَكَ غيرُكَ عليه ، وأكْرَهَهُ عليه فتكأْرَهَهُ ، وتكْرَهُ الأمر كرهه ، وأكْرَهْتَهُ حملته على أمر هو كاره له ) (٢) .

( والكُرْ بالضم المشقة ، والفتح ما أُكْرِهْتَ عليه ، ويجوز الضم في معنى الفتح فيكونان لغتين ، يقال : كرهت الشيء كُرْها وكُرْها وكراهية وكراهية وأكْرَهْتَهُ عليه إكْرَاهًا ) (٣) .

الإكراه اصطلاحاً : هو المشقة التي تنال الانسان من خارج فيما يُحمَلُ عليه قسراً (٤) .

وهذا ما يأباه الاسلام ولا يرتضيه للبشرية أن تُحمَل على اعتناق الاسلام كرها ، إذ إن الدين الاسلامي الحنيف حينما جاء لينقذ البشرية من الضلال الى النور لم يأت بالإجبار والاكراه ، بل جاء بالحجة البالغة التي ينصاع لها كلُّ ذي لب ، والدعوة السمحة هي التي ترغب الناس اليها ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة: ٢٥٦ ، وسبب نزول هذه الآية أنه : ( كانت المرأة تكون مقلاة (٥) ، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما

---

(١) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، ط ١ : ٨٣ .

(٢) ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن ، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ط ١ : ١ / ١٢٦ .

(٣) لسان العرب : ١٣ ( ٥٣٤ - ٥٣٥ ) .

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت : ٢١٦/١ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني ، ضبطه : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، ط ١ : ٤٣١ .

(٦) مقالة : أي قليلة الولد. النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٩/٥ .

أُجِلت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار فقالوا : لا ندع ابناؤنا فأُنزل الله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>

وأخرج الطبري في تفسيره : ( أنها نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين<sup>(٢)</sup> كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما . فقال للنبي ﷺ : ألا أستكرههما فإنهما قد أيا إلا النصرانية ؟ فأُنزل الله فيه ذلك<sup>(٣)</sup> .

من هذا يتبين أن الله ﷻ لم يجز الإيمان على الإجبار والقسر وإنما على التمكين والاختيار ، ونحوه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩ ، أي أن الله لو شاء لأجبرهم على الإيمان ، ولكنه لم يفعل ، وبني الامر على الاختيار والتمكين<sup>(٤)</sup> . ولاسيما أن الله قد بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر ، أي لم يبق للكافر عذرا بعد ايضاح هذه الدلائل في اقامته على الكفر الا أن يُقسر على الإيمان ويُجبر عليه ، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء ، إذ في القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف : ٢٩<sup>(٥)</sup> ، يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ قل يا محمد : مقالة فيها انذارنا وتهديدنا ووعيدنا الشديد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا واتبعوا أهواءهم الحق : أيها الناس من عند ربكم وإليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد فيؤمن

(١) لباب النقول في أسباب النزول ، الإمام جلال الدين السيوطي ( ت ٩١١هـ ) ، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري ، المكتب الثقافي ، الزهر ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، ط ١ : ٥١

(٢) الحصين بن محمد السلمي سمع منه الزهري ووصفه بأنه من سراة الأنصار . الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، تحقيق: علي محمد البحايي ، دار الجليل - بيروت - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ط ١ : ٧ / ٩١ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ( ت ٣١٠هـ ) ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ : ٣ / ١٤ ، ولباب النقول : ٥١ .

(٤) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ( ت ٥٣٨هـ ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ١ / ٣٣١ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ط ١ : ٧ / ١٣ .



ويضل من يشاء عن الهدى فيكفر ليس إلي من ذلك شيء ، ولست بطارد لهواكم من كان للحق متبعا ، وبالله وبما أنزل عليّ مؤمنا ، فإن شئتم فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها وإن آمنتكم به وعملتكم بطاعته فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته (١) .

وجاء في تفسير ابن كثير : ( يقول تعالى لرسوله محمد ρ : **وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ﴾** هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ) (٢) .

أما قوله تعالى : **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾** أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الله الاسلام فانه واضح بدلالته وبراهينه ، ولا يحتاج الى أن يُكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ، ونور بصيرته دخل فيه على يئنة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرها مقسورا (٣) .

فاذا كان الكافر والكتابي لا يصح أن يُجبر أو يكرها على دخولهما الاسلام ، فكيف بالمسلم الذي ولد على الفطرة التي ولد عليها ، بتوحيده لرب العالمين ، وإيمانه به ورسوله وبكتابه ، وسار على مذهب معين وتعبد الله من خلاله ، من غير أن ينكر على الآخرين تذهبهم ؟ فهل يصح أن يُجبر على اتباع مذهب واحد دون غيره ؟ وهل يصح أن تخلق العداوات بين المذاهب في دين الله الواحد ؟ ، ولاسيما أن ديننا هو دين السماحة والمحبة والتعاون بين معتنقيه ، وذلك في قول رسول الله ρ : **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)** (٤) . بل أن النبي ρ وصف تعاون المسلمين وتكاتفهم بالبنين الذي شديد بمتانة واحكام بقوله : **(إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَكَ أَصَابِعُهُ)** (٥) .

(١) ينظر : جامع البيان : ١٥ / ٢٣٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ : ٣ / ٨٢ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٣١١ .

(٤) صحيح مسلم : ١٩٩٩/٤ برقم ٢٥٨٦ ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

(٥) الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ط ٣ : ١٨٢/١ برقم ٤٦٧ ، باب تشبيك الاصابع في المسجد وغيره .

ففي الوقت الذي ينبذ الاسلام الكراهية والتفرقة ، ويدعو الى التعاون والتآزر ، فإنه يدعو الى إشاعة روح المحبة ، ويرغب فيها ، إذ قال ρ : ( إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي ؟ الْيَوْمَ أَظْلُمُكُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي ) (١) ، فبالحبة والتآزر والتعاون يبقى المجتمع الاسلامي موحدا متماسكا قويا ، وبها تقوى شوكة الأمة الإسلامية حتى يكونوا يدا واحدة على من أراد أن يفت عضدهم ، ويمزق شملهم ، ويستبيح بيضتهم ، ومن ثم النصر على عدوهم .

المبحث الثالث : الكلمة السواء وعدم سب الذين يدعون من دون الله وفيه مطلبان

### المطلب الأول : الكلمة السواء

السواء لغة : أي : ( عدل ونصفة يقال دعاك إلى السواء فأقبل أي إلى النصفة ) (٢) . وسواءُ الشيء مثله والجمع أسواء ، أنشد اللحياني :

تَرَى الْقَوْمَ أَسْوَاءَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا      وفي القوم زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ (٣) .

السواء اصطلاحاً : وهي كلمة العدل والانصاف وقطع الحجة في توحيد الله ، فلا عبادة لغيره ، والتبرء من كل معبود سواه (٤) .

وهي الكلمة التي أمر الله نبيه ρ بقولها لمن خالفه من أهل الكتاب المتضمنة العدل والإنصاف والاستقامة التي لا ضميم فيها ، ولا ميل عن الحق ، وفيها التسوية بين الطرفين .

وهذا هو المنهج الرباني الصادر من الخالق الكريم الى نبيه ρ في مخاطبته لأهل الكتاب ، يتجلى ذلك من خلال ما كان يرسله ρ من دعائه ورسله الذين يحملون رسائله الى الملوك والجبابة في اصقاع الأرض المختلفة بدعوة التوحيد ، ومنها ما كتبه الى كسرى وقيصر والنجاشي والى غيرهم يدعوهم الى الله من غير تهديد أو وعيد ، ومن ذلك كتابه الى قيصر الروم الذي جاء فيه :

(١) صحيح مسلم : ١٩٨٨/٤ برقم ٢٥٦٦ ، باب في فضل الحب في الله .

(٢) كتاب غريب القرآن ، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جبران ، دار قتيبة ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م : ٢٨١ / ١ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هندواوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ط ١ : ٦٣٨ / ٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان : ٣ / ٣٠٢ .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ  
الهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنْ عَلَيكَ إِثْمُ  
الْأُرَيْسِيِّينَ<sup>(١)</sup> قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا  
وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ) ، وحينما وصل  
الكتاب النبوي الى قيصر سأل أبا سفيان الذي كان في ركب من قريش للتجارة بالشام في المدة التي كان  
رسول الله ﷺ مآذ<sup>(٢)</sup> فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء<sup>(٣)</sup> فوجه القيصر اسئلة الى أبي  
سفيان من جملتها :

ماذا يأمركم ؟ قال أبو سفيان : قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما  
يقول آباؤكم ، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والصلة<sup>(٤)</sup>

هذا جزء من حديث طويل يظهر فيه طبيعة الدعوة الى الله بأيسر الطرق وانجعها ومع ذلك  
فإن أهل الكتاب تكبروا وأعرضوا عن قبول الحق ، وهو الدين الخاتم الذي جاء به خاتم النبيين ، مع  
علمهم اليقين أنه هو الدين الحق ، فاتخذوا في محاربتهم منهج المجادلة والمحااجة للإبقاء على دينهم ،  
والاصرار على ارتكابهم الاباطيل التي اعتنقوها واصروا عليها .

ومع كل ذلك كان التوجيه والارشاد من رب العزة لنبيه ومصطفاه ﷺ بأن يخاطبهم بأسلوب  
حسن سمح معزز بالأدلة والبراهين العقلية متمثلا بقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ  
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران : ٦٤ ، أي : قل يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل

(١) الأريسيون : الأكارون والزراعون الواحد أريس وجمع التكسير أرايس وهي لغة شامية . تفسير غريب ما في  
الصحيحين البخاري ومسلم ، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي،  
تحقيق: الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز ، مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ، ط ١ : ١ /  
.١٦٢

(٢) وأصله من المدة وهي القطعة من الزمان يقع على القليل والكثير أي اتفقوا على الصلح مدة من الزمان وهذه المدة  
هي صلح الحديبية الذي جرى بين النبي ﷺ وكفار قريش سنة ست من الهجرة . ينظر : عمدة القاري شرح صحيح  
البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت : ١ / ٨٩ .

(٣) إيلياء بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة اسم مدينة بيت المقدس قيل معناها بيت الله ، معجم البلدان ، ياقوت  
بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار النشر: دار الفكر - بيروت: ١ / ٢٩٣ .

(٤) صحيح البخاري : ١ / ٩ كتاب بدء الوحي برقم ٧ مختصر من حديث طويل .

التوراة والإنجيل تعالوا ، هلموا إلى كلمة سواء يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم ، والكلمة العدل هي أن نوحدهم الله فلا نعبد غيره ، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : السواء الوسط لأنه معتدل بين الجوانب ؛ وذلك أنه لا بد في الخلق و الأمر من العدل ، ولا بد من التسوية بين المتماثلين فإذا فضل أحدهما فسد المصنوع كما في مصنوعات العباد إذا بنوا بنيانا فلا بد من التسوية بين الحيطان<sup>(١)</sup> .

وقوله ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ أي : ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به

من معاصي الله ، ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي : فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتكم بدعائهم إليها فلم يجيبوكم إليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> . أي اعلموهم بخطابكم المعتدل الذي بدأت به في دعوتكم الى الكلمة السواء بأنكم متصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه معترفون بما لله عليكم في ذلك من المن والنعمة غير متخذين أحدا ربا لا عيسى ولا عزيرا ولا الملائكة ولا غيرهم لأنهم بشر مثلنا محدثون كحدوثنا ، ولا نقبل من رهبانكم شيئا بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم أربابا من دون الله<sup>(٣)</sup> بهذا الخطاب المعتدل المنصف أمرنا بالحوار مع أهل الكتاب ، فكيف لو كان الخطاب والحوار مع أهل القبلة من المسلمين ؟ .

لا شك أنه حوار يتسم بالشعور بالمسؤولية والعقلانية ، والكلمة السواء فيه أكثر شيوعا واستعمالا ، وأشد وقعا وتأثيرا مما كانت بين المسلمين وأهل الكتاب ، إذ تتمثل فيها كل معاني المحبة والتعاون والإيثار ، واستشعار الإخوة الإيمانية التي جاء بها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات: ١٠ ، وهي الإخوة التي تسمو على إخوة النسب فهي إخوة في الدين والحرمة لا في النسب ؛ ولهذا قيل إخوة الدين أثبت من أخوة النسب فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين<sup>(٤)</sup> .

هذه الإخوة توجب الإنصات والتحاور البناء مع الآخر ، وقبوله والاستفادة منه في تقوية أوضاع المحبة والتعاون ، ونبذ الفرقة والتناحر وكل ما من شأنه المساعدة على تفتيت المجتمع الاسلامي واضعافه ،

(١) ينظر : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ : ١٦ / ١٣٣ .

(٢) جامع البيان : ٣ / ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة : ٤ / ١٠٧ .

(٤) جامع البيان : ٣ / ٣٠١ - ٣٠٢ .

يقول ρ : ( لَا تَحَاسِدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا وَبُشَيْرٌ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرِيٍّ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ ) . (١)

بهذه المعاني تتجسد الإخوة الإيمانية بين المسلمين ، ومن قبلها الحوار البناء المنصف المعتدل مع غير المسلمين .

### المطلب الثاني : عدم سبّ الذين يدعون من دون الله

**السبّ لغة :** الشتم ، ويقال أصل السبّ القطع ، ثم كثر حتى صار السبّ شتما (٢) وقوم بينهم أسوبة يتسابون بها ، أي شيء يتشائمون به ، وتسابوا تشائموا ، وسابته مسابته وسبابا شاتمته (٣) .

**السبّ اصطلاحا :** السبّ : هو الشتم الوجيع والإطالة فيه (٤) ، أو القدح في نسب شخص ، أو نفسه ، أو بدنه ، أو فعله ، أو دينه ومعتقده (٥) .

والسبّ خلق ذميم لا ينبغي أن يتصف به المؤمنون ، لما لهذا الوصف من مخالفة لأهداف الرسالة السماوية السمحاء وطبيعتها ، والدعوة اللينة التي كلفوا بتبليغها للناس ودعوتهم الى اعتناق هذا الدين القويم ، وما جاء به الوحي المنزل على سيدنا محمد ρ ، لأنهم سيلاقون مصاعب وإعراض ومحاربة من أهل الديانات الاخرى ؛ ولذلك جاء أمر الله تعالى لنبيه محمد ρ باتباع الوحي والإعراض عن المشركين وعدم الإنشغال بهم ، أو تعلق قلبه وأمله وعمله بالمعرضين عن الدعوة ، ويتجلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٠٦ .

(١) صحيح مسلم : ٤ / ١٩٨٦ برقم ٢٥٦٤ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره .

(٢) ينظر : غريب الحديث، تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ن ١٤٠٢هـ : ٢ / ٤٢٩ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم : ٨ / ٤٢٣ ، وينظر لسان العرب : ١ / ٤٥٥ مادة ( سب ) .

(٤) ينظر : التعريفات : ١ / ٥٦ .

(٥) ينظر: معجم مقاليد العلوم ، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب - القاهرة ، مصر ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤ م ، ط ١ : ١ / ٢٠٧ .

وعلى المؤمنين أن يتصدوا لهذا الإعراض بأدب ، ووقار ، وترفع ، يليق بالمؤمنين ، وذلك لأنهم أمروا ألا يسبوا آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا أولئك المشركين على سبِّ الله سبحانه وهم لا يعلمون قدره وعظيم مقامه ، فيكون سب المؤمنين لأهنتهم المهينة ذريعة لسب الله الجليل العظيم<sup>(١)</sup> ، بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٨

في الآية نهي عن سبِّ آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة وغيره على دين الله وإهانة لأهنتهم إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ؛ وذلك لأن المشركين سيقابلونهم بسب إله المؤمنين عدواً بغير علم ، فكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبِّ المؤمنين لأهنتهم<sup>(٢)</sup> ، وفي الآية ضرب من المواعدة ، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع ، وفيها دليل على أن صاحب الحق قد يترك حقه إذا أدى ذلك إلى ضرر في الدين ، ويرتكب أقل الضررين وأهون الشرين<sup>(٣)</sup> .

وكان سب المشركين لله سبحانه ليس سباً صريحاً ، وإنما يخوضون في ذكره ، فيذكرونه بما لا يليق به ، ويتمادون في ذلك بالمجادلة فيزدادون في ذكره بما تنزه تعالى عنه<sup>(٤)</sup> .

ولأن سب آهنتهم لا يؤدي بهم إلى الهدى ، ولا يزيدهم إلا عنادا ، وهذا خلق آخر وصفة من صفات المسلمين الحميدة التي اتصفوا بها في التعامل مع المخالف ، وإن كان من الكفار الذين ناصبوا المسلمين العداء بكل اشكاله ، فإن مصيرهم راجع إلى رحمة ﴿ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي يجازيهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها ، وإن سبب نزول هذه الآية هو ما جاء عن ابن عباس : أن كفار

(١) ينظر: في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٣٧ ، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م : ١١٦٩/٢ .

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد إعلام الموقعين ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م : ١٣٧/٣ ، وتفسير القرآن العظيم : ١٦٥/٢ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٦١/٧ .

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ٢٢٦ .

قريش قالوا لأبي طالب إما أن ينتهي محمد وأصحابه عن سب آهتنا والغض منها ، وإما نسب إلهه ونهجه فنزلت الآية (١) .

جاء في التفسير الكبير : ( إِنَّ خِصْمَكَ إِذَا شَافَهُكَ بِجَهْلٍ وَسَفَاهَةٍ لَمْ يَجْزْ لَكَ أَنْ تَقْدَمَ عَلَيْهِ مِشَافَهُتَهُ بِمَا يَجْرِي بِجَرَى كَلَامِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ فَتْحَ بَابِ الْمَشَاطِمَةِ وَالسَّفَاهَةِ وَذَلِكَ لَا يَلِيْقُ بِالْعُقْلَاءِ ) (٢) .  
في الصحيح بنحوه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ( مَنْ الْكَبَائِرُ شَتَمَ الرَّجُلَ وَالِدَيْهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَسْتَبُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسْتَبُ أَبَاهُ وَيَسْتَبُ أُمَّهُ فَيَسْتَبُ أُمَّهُ ) (٣) .

فإذا كان سب المشركين منهيًا عنه وحرامًا في شريعة الإسلام ، فما بالك بمن عادى المسلمين وحاربهم ، وسب معتقداتهم ومذاهبهم ، وهو يدعي أنه من المسلمين الحريصين على الدين الإسلامي ؟

لاشك أن من كان هكذا حاله ، وظاهر فعله ، فهو على جهل شنيع ، وفسق كبير ، وسلك غير سبيل المؤمنين ، ولا سيما أن النبي ﷺ قال : ( سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ) (٤) .

والفسوق في الشرع : الخروج عن طاعة الله ورسوله ، وفي عرف الشرع أيضا أنه أشد من العصيان ، وفيه تعظيم لحق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق ، وأما حكمه فهو حرام

---

(١) ينظر : لباب النقول : ١١٨ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، اط ١ : ٣٣٢/٢ .

(٢) التفسير الكبير : ١١٤ / ١٣ .

(٣) صحيح مسلم : ١ / ٩٢ . رقم ٩٠ ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، وسنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت : ٣١٢/٤ ، رقم ١٩٠٢ . باب ما جاء في عقوق الوالدين .

(٤) صحيح البخاري : ٤ / ٢٢٤٧ ، رقم ٥٦٩٧ ، باب ما ينهى عن السباب واللعن .

إجماع الأمة وفاعله فاسق<sup>(١)</sup> . ( وقتاله كفر ) أي المقاتلة الحقيقية ، أو المخاصمة ، أو معناه كفران حقوق المسلمين ، أو إذا كان مستحلاً لقتال المسلمين<sup>(٢)</sup> .

### المبحث الرابع : القول اللين في دعوة الطُّغاة

اللين لغة : هو : اللطيف<sup>(٣)</sup> . و( اللين ضد الخشونة ، ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني ، فيقال فلان لين ، وفلان خشن ، وكل واحد منهما يمدح به طورا ويذم به طورا بحسب اختلاف المواقع ، قال تعالى ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ آل عمران: (١٥٩)<sup>(٤)</sup> . (أي سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك ، ولم تسرع إليهم بالغضب )<sup>(٥)</sup> .

اللين اصطلاحاً: هو السهل الرقيق ، وليس فيه ما يغضب وينفر ، والمنهج المستعمل في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وأطفه<sup>(٦)</sup> .

بهذا الأسلوب السهل اللطيف أمر الله جل وعلا نبيه موسى وهارون عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يقولوا للطاغية فرعون في حال تبليغ رسالة الله إليه ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه: ٤٤ ، أي كلاماً لطيفاً سهلاً رقيقاً ليس فيه ما يغضب وينفر ، ولا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج في نفسه ونفوس الطغاة الكبرياء الزائف الذي يعيشونه ويتبححون به ، ومن شأنه أن يحاكي القلب ويوقظه فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان والتجبر ، وليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع للتأثير في الإجابة ؛ لأنَّ التَّخَشُّنَ بادئ بدء يكون من أسباب النفور والتصلب ، في الوقت الذي كان الطاغية

---

(١) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ ، ط ٢ : ٥٤ / ٢ . تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٠٠ / ٦ .

(٢) ينظر : عمدة القاري ١٢٣ / ٢٢ .

(٣) ينظر : تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ١ / ٣٣٦ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ١ / ٤٥٧ .

(٥) تفسير البغوي : الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد (ت ٥٦١ هـ) ، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ، بيروت ، ١ : ٣٦٥ .

(٦) ينظر : أضواء البيان ١ : ٤٦٤ .



فرعون في غاية العتو والاستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالرفق واللين لا بالقسوة والشدة والعنف<sup>(١)</sup> . ومن معاني اللين في هذه الآية هو أن يكنياه فيقولوا له : يا أبا العباس أو يا أبا الوليد ، أو يرغباه ويعطياه وعدا بعد قبوله الإيمان بشباب لا يهرم معه ، وملك لا ينزع منه إلا بالموت ، ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته ، وإذا مات دخل الجنة ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أي لعله يتعظ ويخاف ويطمع باستمرار النعيم الذي يعيش فيه ويسلم<sup>(٢)</sup> .

والقول اللين هو ما يفسره قوله تعالى : ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ النازعات: ١٧ - ١٩ ، وهذا غاية لين الكلام ولطافته ورقته ، وفيها عبرة عظيمة ، لأن فرعون كان في غاية العتو والاستكبار ، في مقابلة سيدنا موسى الذي كان صفوة الله من خلقه ، ومع هذا أمره الله تعالى أن يخاطب فرعون بكل ملاطفة ولين ، وهو أقرب الى العفو من الغضب والعقوبة<sup>(٣)</sup> . وهذا يدل على أنه لا بد للداعي في دعوته إلى الله من اللين والرفق وترك الغلظة ؛ ولهذا قال لنبينا محمد ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩ ، ويدل على أن الذين يتخاشنون الناس ويبالغون في التعصب كأنهم على ضد ما أمر الله به أنبياءه ورسله<sup>(٤)</sup> .

ودل أيضا على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة مما يدعو امثالاً لقوله تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨ ، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه ، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة وحسن الأسلوب واللطافة ، مع إيضاح الحق لقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥ فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وشدة فإنها تضر أكثر مما تنفع ،

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٥٤/٣ ، وأضواء البيان : ٤ / ١٥ ، وفي ظلال القرآن : ٢٣٣٦/٤ .

(٢) تفسير البغوي : ٢١٩/٣

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٥٤/٣ ، وفتح القدير : ٣ / ٣٦٦ .

(٤) التفسير الكبير : ٣١ / ٣٧٠ .

ولما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو نوع من أنواع الدعوة فلا ينبغي أن يسند إسنادا مطلقا إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس<sup>(١)</sup> .

وعلى الدعاة أيضا أن لا يجعلوا اليأس يدب في نفوسهم في دعوتهم للطغاة ، رجاء أن يتذكروا ويخشوا عاقبة ما هم فيه ، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بجرارة ، ولا يثبت عليها في وجه الجحود<sup>(٢)</sup> .

لقد علّم الله عباده كيف يُخاطب الطاغية الكافر المتجبر بأحب أسلوب وأشد جاذبية للقلوب لعله ينتهي عما هو عليه ، مع كل ما كان يصدر منه من ظلم ومحاربة وصد وإعراض لأصحاب الدعوة الربانية ، فكيف لو كان الخطاب مع أهل القبلة الواحدة الذين يدينون بدين واحد ، ويعيشون في بلد واحد ؟ .

الجواب هو على كل مسلم آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا أن يمثل لأوامر الله ﷻ ، ويتبع سنة رسوله ﷺ في الاعتصام بحبل الله وجمع شمل المسلمين والعمل على وحدتهم أمام عدوهم قال تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٣ . واشاعة روح الشعور بالمسؤولية في تقبل الآخر ، والدعوة الحكيمة الى تبني الحوار المتكافئ بين المسلمين ، الذي يستند الى الاعتراف بالآخر ، والقبول المتبادل بين طرفي الحوار ، ونظرة أحدهما الى الآخر على أنه شريك متكافئ ، وذلك للنهوض بواقع وحدة الأمة ، وللتخلص من كل أسباب العدا والتمزق الذين ينهكانها ويقضيان عليها ، وهذا يستوجب مداراة المسلمين لبعضهم بعضا ، وخفض الجناح فيما بينهم ، والرفق بجاهلهم في التعليم ، وبفاسقهم في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حتى لا يُظهر ما هو فيه ، والانكار بلطف القول والفعل ، ولاسيما إذا احتيج الى تأليفه ، وهي من أخلاق المؤمنين المندوب اليها<sup>(٣)</sup> .

(١) ينظر :أضواء البيان :١/ ٤٦٣-٤٦٤

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٤/ ٢٣٣٦ .

(٣) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة - بيروت: ١٠/ ٥٢٨ .

## الخاتمة

بعد أن بحثنا في تفسير الآيات المباركات التي تحض على الدعوة السمحة والخطاب اللين مع المخالف نوجز أهم ما توصلنا إليه من نتائج :

- ١ . رعاية القرآن الكريم للجانب الأخلاقي واعطاؤه أهمية كبيرة في القرآن الكريم .
  - ٢ . الدعوة الى الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة .
  - ٣ . استعمال اسلوب الإقناع والحجة البالغة ، في دعوة الناس ، وعدم إكراههم على اعتناق الدين الإسلامي .
  - ٤ . دعا الاسلام الى كلمة سواء مع الكافرين ، وعدم سبّ آلهتهم ؛ لأنه يفضي الى سبّ إله المؤمنين ( لا إله إلا هو) .
  - ٥ . القول اللين السهل اللطيف أوقع في نفوس الطغاة ، بخلاف القول الخشن الذي يؤدي الى النفور والتصلب في الكفر والثبات على الباطل .
  - ٦ . الخطاب المعتدل بين المسلمين يزيد من عرى المحبة ، والتعاون والشعور بالمسؤولية في تقوية أواصرهم الإسلامية التي تزيد من وحدة المسلمين وقوتهم .
- وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

## المصادر والمراجع

### ❖ القرآن الكريم

- ١ . الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل - بيروت - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م .
- ٢ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي . تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر . - بيروت . - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م
- ٣ . إعلام الموقعين عن رب العالمين ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرععي الدمشقي ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد إعلام الموقعين ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ٤ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا .

٥. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية
٦. التبيان في تفسير غريب القرآن ، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ط ١ :
٧. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت
٨. تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)
٩. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، ط ١
١٠. تفسير البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد (ت ٥٦١هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ، بيروت
١١. تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ
١٢. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ط ١
١٣. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز ، مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، ط ١
١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ .
١٥. الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ط ٣
١٦. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة
١٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت
١٨. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٩. الصحاح، تاج اللغة العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت ٣٩٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٠
٢٠. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت : ٤ / ٢٠٠٤
٢١. صحيح مسلم بشرح النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ ، ط٢
٢٢. العباب الزاخر :- للصاغاني ، ٤٠٥/١ ، من الموقع الإلكتروني على شبكة المعلومات .  
www. Awarrag . com
٢٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢٤. غريب الحديث للخطابي :- حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ألبستي أبو سليمان ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ ، وتعريفات ومصطلحات فقهية في لغة معاصرة ، د. عبد العزيز عزت عبد الجليل حسن .
٢٥. غريب الحديث، تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ن ١٤٠٢ هـ
٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة - بيروت
٢٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر ، بيروت
٢٨. في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٣٧ ، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م
٢٩. كتاب غريب القرآن ، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران ، دار قتيبة ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م
٣٠. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، ط٢
٣١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٣٢. لباب النقول في أسباب النزول ، الإمام جلال الدين السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) ، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري ، المكتب الثقافي ، الزهر ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م ، ط١

٣٣. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار النشر: دار صادر - بيروت، ط ١
٣٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ط ١
٣٥. المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م، ط ١
٣٦. مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، المكتبة العتيقة ودار التراث\
٣٧. معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار النشر: دار الفكر - بيروت
٣٨. معجم مقاليد العلوم ، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب - القاهرة ، مصر ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م ، ط ١
٣٩. المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني ، ضبطه : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، ط ١
٤٠. مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر - القاهرة
٤١. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٤٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .